

الْمَنَاهِجِ الْعَلِيَّةِ فِي سُلُوكِ الطَّرِيقَةِ الْخَتْمِيَّة

الجزء الأول

تعريف التصوف و الطريقة والبيعة وبعض الحقوق

تأليف

رقُ مولاهُ الغني

السيد أحمد بن السيد محمد عثمان تاج السر الميرغني

25 رمضان 1445 هجري

بسم الله الرحمن الرحيم

به الإعانة بدءاً وختماً، وصلى الله على سيدنا محمد ذاتاً ووصفاً واسما.

المناهج العلية في سلوك الطريقة الختمية

مقدمة

الحمد لله على نعمائه وجميل آلاءه وعظيم فضله وكرمه، الراحم لنا بإرسال رسوله وأنبيائه، ونحمده حمد الحامدين على أن جعلنا من أمة سيد المرسلين كما قال ختم أهل العرفان مولانا السيد محمد عثمان الميرغني الختم: "أحمده على أن جعلنا من هذه الأمة المرضية".

والصلاة والسلام على أشرف الخلائق المبعوث بأشرف الشرائع الأول و الخاتم في الأنبياء، ورحمة الله للعالمين إلى يوم التلاق، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

وبعد:

كثُرَت كلمة "خليفة" بين أهل الطريقة لكل فرد، حتى أصبح الآن أنك لا تستطيع أن تميز الخليفة الحق، ووجدت أن السواد الأعظم منتسب بأخذ العهد فقط، ومنهم من زاد بالإلتزام بالأساس والراتب فقط.

لذلك شرعتُ في هذه الرسالة على أن الطريقة الختمية لها منهج ومنوال كما أخذنا عن السادة المراغنة، وخلفاء عظام ساروا على نهج الإمام الختم رضى الله عنه.

وكلمة "خليفة" تعني ذاك الرجل القائم على منوال الطريقة، سار في تدرجات منذ أخذ البيعة وعمل المقدمات، وقد ظهرت عليه الأنوار وتكشفت له بعض الأسرار، وكان سمته يكتنفه صفات أهل الإيمان والإطمئنان، يعلم الجميع أنه على إلتزام، وأنه يعمل بمنوال الطريقة، قائم على الأذكار اليومية بل وحافظا لها، له فهم التسليك على منهج أهل الطريق، يحضر الحضرات ويعين في الملمات، دَؤوب على تذكير المريدين، لا يعرف الغيرة من الأقران والمحبين، يرى السادة المراغنة واحد دون تكلف، بل ينزلهم منزلة واحدة دون تمييز، يسأل عن كل من غاب، له فهم التربية، لا يقبل المدح لنفسه، ولا قيام الناس له صفوفاً، التوجيه من وظائفه، عالِم بأهل النفوس، له همة على جمع المريدين ولم شمل المحبين، ليس بفاحش ولا بَذيء.

يتحرى أحسن الكلام، يُصلح بين الناس، يكون ماله ومطعمه من حلال، لا يخشى إلا الله، يُحيي سِيَر الصالحين، ولا يَرَى لنفسه مزية على الآخرين إلا في تحقيق المنوال دون شطط.

يعمر الأوقات بالذكر، وتلاوة القرآن، و مجالس الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا القليل من الكثير، واعلم أن الطريقة الختمية من أعظم الطرق في الاستمداد من سيد السادات صلى الله عليه وسلم؛ فيستوجب معرفة الكثير عنها، وهذه نبذة لطيفة فيها إحياء معاني شريفة، سميتها: [الْمَنَاهِجِ الْعَلِيَّةِ فِي سُلُوكِ الطَّرِيقَةِ الخَتْمِيَّةِ].

وهذا الرمز وإن صَغُرَ حجمه إلا أنه فيه الكثير الذي يحتاجه كل من يريد سلوك الطريقة، ولتصحيح معالم الطريقة عند كل مريد، وحتى يكون إحياءاً للمفاهيم الصحيحة وإعانةً لكل مريد وخليفة.

منذ أكثر من خمسة عشر سنة، تم تأليف هذه الرسالة مختصرة، ولكن حسب الحال أضفت بعض الزيادات على حسب ما وجدت من إستفسارات المريدين والخلفاء، فهذا التأليف لكل منتسب، أسأل الله لي ولكم التوفيق والنفع.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبة وسلم،،،

أحمد بن السيد محمد عثمان تاج السر الميرغني

المملكة العربية السعودية

رمضان 1445 هجري

الفصل الأول

التصوف والطريقة وعلاقتهما بالشريعة

يجب أولاً على كل سالك فهم أن مبنى هذه الطريقة على أصل من الشريعة وليست كما يروج بعض الجهلاء بأن الطريقة ضلال وشرك، كما نرى في بعض تسجيلات الانترنت المدعين بأنهم على الحق؛ فيجب معرفة كيف عرَّف السادة المراغنة التصوف، وما هي الطريقة.

اعلم أن الطريقة لا تخرق شريعة؛ بل هي تحقيق الشريعة، واظهار ثمراتها على الخليقة، فالشريعة: ضابط لحياة المسلمين، والطريقة: هي الرقيب على قلوب المؤمنين، والحقيقة: نتاج عباد الله الصالحين.

تعريف التصوف عند الإمام الختم:

قال رضي الله عنه: " التصوف هو سر الكتاب والسنة، وباطن الشريعة المطهرة الحسنة، المُتصوف من صفا قلبه، وأخلص في معاملاته وحبه ".

"الصُوفي من رفض كل ما سِوىَ مولاه، وحَفِظَ الطريقة والحقيقة والشريعة بتقواه؛ إذ هم مرتبطون لدىَ أهل الله ". انتهى

يقول الجد سيدي عبد الله الميرغني المحجوب في قصيدته الوصية:

وافترضَ الإسلام بالإيمان ... بكل ما جاء عن الرحمن
وبيَّن الحلال والحراما ... وكل فرضٍ قد أتى حَرَامَا
وشرع الشرع القويم المُرتضى ... وحقق الحق الحقيق بالرضا
وها هما شيئان وهو واحد ... ما ثم مثنَّى فالمُثنَّى فاسد
واسلك قويم الشرع والطريقة ... تنل معاني أشرف الحقيقة
لا خير إلا في إتباع الشرع ... من لم يُتابعهُ فذاك البدعي
فكُن له تلواً على الدوام ... تفز بقرب المُصطفى الإمام
وتشهد الحق على الحقيقة ... وترتقي مراقي الطريقة

أُنظر إلى كلام الجد السيد عبد الله الميرغني المحجوب:

وهـا هما شيئان وهو واحد　　　مـا ثم مثنى فالمُثنى فاسـد

وقول الإمام الختم رضي الله عنه:

" إذ هم مرتبطون لدى أهل الله "

فعلى كل مريد سالك أن يعلم الشريعة والطريقة والحقيقة بينهم تلازم، وهم صورة الإسلام والإيمان والإحسان.

يقول الجد عفيف الدين أبو السيادة، مولانا السيد عبد الله الميرغني المحجوب، الحسيني الطائفي، المتوفى 1193 هجري، في كتابه كنز الفوائد شرح منظومته بحر العقائد:

" معرفة الشريعة والطريقة والحقيقة":

فالشريعة: الأمر بالتزام العبودية بشرط إلتزامها، ويقال هي معرفة السلوك إلى الله تعالى.

والطريقة: سلوك طريق الشريعة، وهو أعمال شرعية لها حدود، ككون الصلاة ركعتين أو ثلاثة، وجهات ككون فرضاً أو نفلاً، مؤقتاً أو غير مؤقت.

والحقيقة: مشاهدة الربوبية بالقلب، ويقال: هي سر معنوي لا حدّ له ولا جهة.

والثلاثة متلازمة لأن الطريق إلى الله تعالى ظاهر وباطن، فظاهرها الشريعة والطريقة، وباطنها الحقيقة، فبطون الحقيقة في الشريعة والطريقة، كبطون الزبد في لبنه، فكما لا يظفر من اللبن بزبده بدون مخضه، لا يظفر بحقيقة بدون العمل بهما، ولا تحصل لأحد ولاية بدون ملازمة الكل، إذ هي عبارة عن التحلي بملازمة الثلاثة للتلازم بينهم بل لوحدتها في المعنى ". انتهى

هذا تعريف إلى فهم أن التصوف من الدين، وإن كان البعض يطلق عليه اسم "علم التزكية، الزهد والرقائق، فقه القلوب، علم السلوك، وغيرها"، إلا أن اسم التصوف هو الاسم المنتشر بين أطياف الأمة.

وهنا تجد بعض هذه التعريفات عن التصوف وإرتباط "الشريعة والطريقة والحقيقة"، يظهر التصوف جلي في أعمال القلوب أو كل الأعمال الباطنة، وهي كثيرة سوف نأتي إليها في مظانها،

ومنها: (التصديق، والإيمان، واليقين، والإخلاص، والرضا، والصبر، والمحبة، والذكر، والإنابة، والخشية، والتقوى، والتخلي من الرذائل، والتحلي بالفضائل، والرجاء، ومجاهدة النفس ومحاسبتها)، ولكل من هذه المصطلحات الأدلة من الكتاب والسنة، وأقوال وأعمال السلف الصالح.

قال الإمام الختم رضي الله عنه في رسالة الفتح المبروك في آداب السلوك:

(واعلم أن أول ما يجب على المريد، معرفة المبديء والمعيد، وأن يصحح عقيدته لكي يرث حال أهل طريقته، ثم ما يقيم به الفروض، يوم لا ينفع الجواهر ولا العروض، ثم يعرف آدابنا).

****

الفصل الثاني

العهد أو البيعة في الطريقة الختمية

أولاً: تعريف العهد أو البيعة:

إن أصل البيعة قوله تعالى ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴾، وهي المعاقدة والمعاهدة والتولية، وبذل العهد على الطاعة والنُصرة، وقد فعلها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وأيضاً مِن السنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفىَ منكم فأجره على الله......) الحديث. رواه البخاري.

وعند الإمام أحمد في مسنده: (عن عَوْفِ بْنِ مَالِك الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ستَّة نَفَرٍ أَوْ سَبْعَة أَوْ ثَمَانِيَة، فَقَالَ لَنَا: بَايِعُونِي، فَقُلْنَا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ بَايَعْنَاكَ، قَالَ: بَايِعُونِي، فَبَايَعْنَاهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا بِمَا أَخَذَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ كَلِمَةً خَفِيَّةً، فَقَالَ: لَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا).

- ومنها: بَايَعَتِ القَبائِلُ الحاكمَ: قَبِلَتْ سُلْطَتَهُ وَخِلافَتَهُ، وَعاهَدَتْهُ عَلَى الوَفاءِ بِهِ.
- ومنها: بيعة المسلمين للخلفاء الراشدين، وهي إعطاء العهد بقبول ولاية أو خلافة.

وأما العهد فله معنيين:

الأول لغوياً: (إلتزام بشيء ليوفى به في المستقبل).

والثانى شرعاً: (إلتزام قربة دينية كالتزام الصحابة رضى الله عنهم بأنهم يحمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بأرواحهم وأولادهم وأموالهم).

- وَالْمُرَادُ بِالْعَهْدِ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَالِقِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَخْلُوقِ.
- والعَهْدُ كل ما عُوهِدَ اللّهُ عليه، وكلُّ ما بين العبادِ من المواثِيقِ، فهو عَهْدٌ.

ومن الأدلة القرآنية:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: 91].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 34].

وَالْآيَاتُ كَثِيرَةٌ وَمِنْ أَعْظَمِهَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2].

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ).

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ، أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ).

فبذلك يظهر أن العهد أو البيعة، أمر مشروع، وله أصل من الكتاب والسنة، ويرى مشايخ الطريقة ضرورة أخذ العهد للمريد المبتدئ، وهذا ملازم للتوبة والندم والاستغفار.

كيفية البيعة:

أولا: تأخذ البيعة من سيد ميرغني أو من خليفة له أخذ في الطريقة.

ثانيا: تغتسل أولاً كغسل الجنابة يوم الأربعاء بأمر شيخك في الشروع بالتسليك، (يوم الاربعاء يبدأ من غروب شمس يوم الثلاثاء إلى قبل غروب يوم الابعاء).

ثالثاً: وتصلي ركعتين، الأولى بالفاتحة والكافرون، والثانية بالفاتحة وسورة النصر، ثم تسلم وتقرأ البيعة، وكيفيتها:

"اللهم إني تبت إليك، وندمت على ما فعلت، ورضيت بسيدي محمد عثمان الميرغني الختم شيخاً لي في الدنيا والآخرة، ثبتني اللهم على محبته وطريقته في الدنيا والآخرة، بحق سيدنا محمد ابن عبد الله بن عدنان، وبحق بسم الله الرحمن الرحيم... وتقرأ الفاتحة سراً، ثم تقرأ سورة العصر".

ثمرات العهد:

- قال الله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾، أن العبد إذا وفّى بعهده دخل في عباد الله المتقين، والله يحب المتقين، فصحة محبة الله لمن يوفون بالعهود.
- جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وهنا نرى توعد الله لمن ينقض عهد الله بالحرمان، أما مَن يوفي بعهده مع الله له النصيب الأوفر في الآخرة ونعيمها، وهذا هو الخلاق.

وفي الحديث: (يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ)، وهذا أن الله يكلم عباده ولا يحرمهم كما حَرِم كلامه لمن نقض عهد الله.

- الذي يوفي بعهده ينظر الله إليه نظرة الرضىَ والرحمة، وهذا تجده من كلام الله عن مَن ينقض العهود بقوله تعالى ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، ففي حال أصحاب العهود والموفون بها ينظر الله إليهم وهو راضي عنهم.
- أيضا أن الله يزكي الصادقين بعهدهم لأنه توعد مَن ينكر العهود بقوله ﴿ولا يزكيهم﴾ لا يثني عليهم بزيادة الأجر وغفران الذنوب، والتزكية ذُكرت في القرآن فمنها قول الله تعالى:
  - ✓ ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾، المراد منه يُطَهِّرُهُمْ ويصلح قلوبهم ونفوسهم، وَيُنَمِّيهِمْ وَيُكَثِّرُهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ، لأن التزكية للنفس، والشاهد عليها قول الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾.
  - ✓ ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾، وأن توفي بعهدك أي التوبة وصدق التوجه إلى الله يكون سبب أن تحصل على اللطف الإلهي.

- وبذلك تجد صاحب العهد القائم عليه يكثر خيره، ويزيد بركته، ويجد حلاوة الإيمان، والطمأنينة في الدنيا والآخرة، وحُسن الخُلُق.
- قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وهنا جاءت البشرىَ من الله بل لعظمها قال تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.
- إن العهد من ثمراته أنه الإنذار المهلك للنفس، فتظهر منك الهمة في صدق التوجه والإقبال على الله بالشروع في محاربة النفس، لأن العهد إرتباط أولاً بالله، ثانياً بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبأولياء الله مِن الإمام الختم رضى الله عنه ومشايخات سلسلة السند وغيرهم من الصالحين.
- الارتباط بأنفاس ومدد الصالحين في أذكارهم وصلواتهم رضي الله عنهم.

****

الفصل الثالث

كيفية سلوك المبتدئ

على كل من يريد سلوك الطريقة الختمية، معرفة الخليفة المتواجد بالمنطقة، للتعرف على كيفية سلوك الطريقة، ولكن إذا لم يعطيك المقدمات ويباشر أحوالك، فاعلم أنه غير متقن للخلافة والتسليك في الطريقة.

يجب على من أراد السلوك التوبة، والندم، والاستغفار، و أن لا يرجع لما سبق، والنية بصدق التوجه إلى الله مع الإخلاص.

يقول الجد عفيف الدي أبو السيادة السيد عبد الله الميرغني المحجوب:

أوردته بختصار: (اعلم أن الذنب، والخطيئة، والإثم، والعصيان، والإساءة، والوزر، والإصر، ألفاظ مترادفة، وقد عرَّف المصطلح الشرعي الذنب أنه: عبارة عن الصغائر والكبائر).

وهذه كيفية الشروع في البيعة وهي كالتالى:

تغتسل أولاً كغسل الجنابة ونتوضأ:

يوجه الإمام الختم كل من يريد أن يسلك طريقته أن يبدأ أولاً بالاغتسال كغسل الجنابة، وذلك لأن المبتدئ متوجه إلى ترك المعاصي والتوبة مما مضىَ، وسعيه وراء الاشتغال بالترقي إلى التقوىَ.

حيث أن الطريق يظهر في تجديد العهد مع الله تعالى، وذلك التطهر من كل خبيث، والترقي للقرب من الله تعالى، فكان التطهر حسي ومعنوي، ولذا جاء قول الله تعالى ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾... الآية.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ أي: من ذنوبهم على الدوام ﴿ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ أي: المتنزهين عن الآثام، وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث، ففيه مشروعية الطهارة مطلقاً, لأن الله يحب المتصف بها, ولهذا كانت الطهارة مطلقاً شرطاً لصحة الصلاة

والطواف, وجواز مس المصحف، ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة, والصفات القبيحة, والأفعال الخسيسة.

التطهر الحسي:

عن عثمانَ بن عفانَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوضوءَ، خَرَجَت خَطَايَاهُ مِنْ جسَدِهِ حتَّى تَخْرُجَ مِنْ تحتِ أَظفارِهِ). رواه مسلم.

أما التطهر المعنوي فمنه:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وقال عن قوم لوط: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

فلزم للمبتدئ تمام العزم والنية الخالصة لله تعالى بدءاً بالإغتسال، حيث التوجه إلى الله تعالى، فأصبح الإغتسال مندوباً كما أقره علماء المذاهب الفقهية، والطريقة في ذلك أوسع لأنها تحتوي جميع المذاهب حيث يسلكها من كل مذهب الألوف.

ومما يؤيد الاغتسال: جاء في كتاب البحر الرائق شرح كنز الدقائق:

"والمندوب غُسل الكافر إذا أسلم غير جُنُب، ولدخول مكة، والوقوف بمزدلفة، ودخول مدينة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وللمجنون إذا أفاق، والصبي إذا بلغ السن، ومن غسَّل الميت، وللحجامة لشبهة الخلاف، وليلة القدر إذا رآها، وللتائب من الذنب". انتهى

وهذه الأخيرة هى ما تعنينا حيث التوبة مما مضىَ.

وقد جاء في حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح:

"(يندب للتائب من ذنب) إزالة لأثر ما كان فيه، وشكراً للتوفيق إلى التوبة".

فلذلك أمر الإمام الختم مَن يريد الدخول في طريقته ولعِظَم ما هو متوجه إليه أن يبدأ بالإغتسال رغم أنه طهارة عامة، ولكنه داعي على صدق السعي وراء طهارة الظاهر والباطن، حيث توجهه بالإخلاص والنزاهة عن الغل، والغش، والحقد، والحسد، وترك المعاصي، ونهج سُبُل الإيمان فأصبح متوجهاً كلياً إلى الله سبحانه.

يوم الأربعاء:

أما اختيار يوم الأربعاء فلا يعلم سره سوىَ الإمام الختم، حيث خصصه لشروع المريد في البدء في كل ذكر مِن أذكار المقدمات التي وردت.

ويوم الأربعاء يبدأ من غروب شمس يوم الثلاثاء، إلى قبل غروب يوم الأربعاء، ويجب على المريد تحري وقت الصلاة، حيث أنه منهي عن الصلاة بعد صلاة الفجر حتى طلوع الشمس، وبعد صلاة العصر.

بعض فضائل يوم الأربعاء:

ذكر برهان الإسلام عن صاحب الهداية: " أنه ما بُدئ شيء يوم الأربعاء إلا وتم، فلذلك كان المشايخ يتحرون ابتداء الجلوس فيه للتدريس لأن العلم نور، فبُدئ به يوم خلق النور ". انتهى

قصده يوم خلق النور يشير إلى الحديث الذي رواه الإمام أحمد، ومسلم، والنسائي، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: (إنَّ اللَّهَ خلقَ السَّمواتِ والأرضِ وما بينَهُما في ستَّةِ أيَّامٍ، ثمَّ استَوَى علَى العرشِ يومَ السَّابعِ، وخلقَ التُّربةَ يومَ السَّبتِ، والجبالَ يومَ الأحَدِ، والشَّجرَ يومَ الاثنَينِ، والشَّرَّ يومَ الثُّلاثاءِ، والنُّورَ يومَ الأربعاءِ، والدَّوابَّ يومَ الخَميسِ، وآدمَ يومَ الجُمعةِ في آخرِ ساعةٍ منَ النَّهارِ بعدَ العصرِ، خلَقَه مِن أديمِ الأرضِ بأحمرِها وأسودِها ، وطيِّبِها وخبيثِها، مِن أجلِ ذلِكَ جعلَ اللَّهُ مِن آدمَ الطَّيِّبَ والخبيثَ).

وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وهو يشكو حاله لشيخه وكيع:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصـــي

وأخبرني بأن العلم نـــور ونور الله لا يُهدى لـعـاصي

وكما هو معلوم لأهل الطريق أن كل ما في السلوك هو عروج للإفاضة النورانية، والقبس من العلوم اللدنية، وترقي بمعرفة الله تعالى، فلذا قال سبحانه ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ أصحاب ذاك العلم النوراني المشار إليه بقوله تعالى ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾، وقوله سبحانه ﴿كُلا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾، فأصبح متلقي هذا العطاء هو صاحب الصفاء القلبي، وحيث أنه قائم على معالجة النفس فقد كان له البدء يوم الأربعاء أولاً.

وقد قال الإمام المناوي: وقفت على أبيات بخط الحافظ الدمياطي، وقال أنها تُعزىَ إلى سيدنا علي بن أبى طالب كرَّم الله وجهه:

وإذا شرب امرء يوماً دواءاً فنعم اليـــوم يـــوم الأربعاء

وقد ذكر ابن عبد البر في التمهيد، والبخاري في الأدب المفرد:

(عن عبد الرحمن بن كعب قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المسجد مسجد الفتح يوم الإثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء ، فاستجيب له بين الصلاتين من يوم الأربعاء، قال جابر: ولم ينزل بي أمر مهم غائظ إلا توخيت تلك الساعة، فدعوت الله فيه بين الصلاتين يوم الأربعاء في تلك الساعة إلا عرفت الإجابة).

وعن جابر بن عبد الله قال: (دعا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، فأستجاب له يوم الأربعاء).

قال الإمام الطبراني في معجمه الأوسط:

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : (لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي شُهُودِ الْعَتَمَةِ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ لَأَتَوْهَا وَلَوْ حَبْوًا). رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ.

وقد يكفي نقل ذلك لإظهار بعض فضائل يوم الأربعاء الذي خلق فيه النور المشار إليه عند العلماء بالعلم، وأيضاً أنه يوم فيه يُستجاب الدعاء، وفيه تمام الشفاء، فالدواء مثل معالجة النفس العاصية بالذكر والرياضات حتى تغشاه التوبة من كل جانب، حيث أن النفس تنتقل من أدنى درجاتها وهي الأمارة، فتتدرج حتى تكون في أعلى درجاتها الكاملة.

صلاة ركعتين:

(وتصلي ركعتان، الأولى بالفاتحة والكافرون، والثانية بالفاتحة وسورة النصر، ثم تسلم)، وهي أن تنوي صلاة ركعتين بنية التوبة، وأن لا تعود إلى المعاصي، وقد أورد أهل العلم صلاة التوبة من المندوبات.

أورد الإمام الترمذي في سننه: عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون).

جاء في كتاب تحفة الحبيب على شرح الخطيب:

(وركعتا التوبة) أي من الذنب ولو صغيرة كما هو ظاهر، ثم يستغفر الله عقبها.

وذكر ابن حجر: (أنه يُسن لمن أذنب ذنباً وتاب منه أن يصلي عقب توبته ركعتين شكراً على حصولها وطلباً لقبولها). انتهى

وجاء في حاشية رد المحتار:

وذكر الشيخ إسماعيل عن «شرح الشرعة»: من المندوبات صلاة التوبة، وصلاة الوالدين، وصلاة ركعتين عند نزول الغيث، وركعتين في السرِّ لدفع النفاق، والصَّلاة حين يدخل بيته ويخرج توقياً عن فتنة المَدْخل والمَخْرج، والله أعلم.

جاء في كتاب تحفة الحبيب للعلامة البجيرمي:

قوله: (وركعتا التوبة) أي من الذنب ولو صغيرة كما هو ظاهر، ثم يستغفر الله عقبها، والمراد بقوله: (وركعتا التوبة) أي من يريدها، فهو على حذف مضاف كما قاله علىَ التحرير.

ويؤخذ منه أن الصلاة هذه تكون قبل التوبة، ويُسن أيضاً ركعتان بعدها، لما ذكره ابن حجر أنه يُسن لمن أذنب ذنباً وتاب منه أن يصلي عقب توبته ركعتين شكراً على حصولها، وطلباً لقبولها ودواماً.

وعبارة العناني: "الصلاة قبل التوبة بدليل قوله: ثم يستغفر الله، وأيضاً فإن الصلاة وسيلة لقبول التوبة، والوسيلة مقدمة على المقصد، فاندفع ما يقال إن المبادرة إلى التوبة واجبة، فكيف يقدم الصلاة عليها؟ وحاصل الجواب: أن الصلاة لما كانت وسيلة للتوبة كان المصلي شارعاً فيها" اهـ

فائدة التوبة:

أنها حيث صحت كفَّرت الذنب قطعاً في الكفر وظناً في غيره ولو كبيرة، نعم الصغيرة يكفرها غير التوبة من فعل نحو وضوء، وهي واجبة ولو من صغيرة، ومن تأخيرها أي التوبة فتأخير التوبة يجب فيه التوبة، وهي من أفضل الطاعات، ولا يجب تجديدها عند تذكر الذنب، ويشترط كونها قبل الغرغرة، وقبل طلوع الشمس من مغربها، ووجود أركانها من الندم، والترك، والعزم على أن لا يعود، وإن لم يتصور منه كمن قطع ذكره أو لسانه، ويزاد لحق الآدمي الخروج منه، وما أحسن ما قاله بعضهم:

بادر إلى التوبة في وقتـــها فالمرء مرهون بما قد جـــناه

وانتهز الفرصة إن أمكنت ما فاز بالكرم سوى من جناه

وذكر الإمام ابن قدامة في المغني:

فصل في صلاة التوبة: (عن علي رضي الله عنه قال: حدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من رجل يذنب ذنباً، ثم يقوم فيتطهر، ثم يصلي ركعتين، ثم يستغفر الله تعالى إلا غفر له، ثم قرأ ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾... إلى آخرها). رواه أبو داود، والترمذي.

كيفية الصلاة:

قال الإمام الختم رضى الله عنه في كيفية الصلاة: " أن تصلي ركعتين، الأولى بفاتحة الكتاب وسورة الكافرون، والثانية بفاتحة الكتاب وسورة النصر "، وهنا ملمح عجيب لعلنا ندرج مراد هذه الكيفية التي وضعها الإمام الختم رضى الله عنه هي المشار إليها في قول الله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾.

فكأن الإمام الختم بدأ بسورة الكافرون للاستغراق في ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ والمشار إليها بسورة الكافرون، وقوله تعالى ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ والمشار إليها بسورة النصر.

إن سورة الكافرون لها اسم آخر وهو "المقشقشة" لأنها تبرئ من الشرك، وكأن الإمام السيد محمد عثمان الميرغني الختم أراد أنك بعد التوبة والنية بصدق التوجه إلى الله أول الأمر و قراءة سورة الكافرون الدالة على حالك ومقالك، بأنك متوجه إلى الله تعالى، ولا أشرك في نيتي ولا عبادتي وعملي شيء، وأن سائر عباداتي وذكري هو لله سبحانه وتعالى، حيث أن المريد مُقبل على عبادة الله تعالى وحده، فجاءت السورة في الركعة الأولى تدل على إخلاص العبادة لله سبحانه.

أما سورة النصر ففيها بعد الظفر بنصر الله وهو التوجه إلى الله بالتوبة والاستغفار، ولعل الإشارة هنا في قوله تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، وهذه آلية تشهد بإقدام المريد على ذكر الله والاستغفار، وذلك بعد التوبة، وجاء قول الله تعالى ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ وهو إقبال المريد على الذكر، ويدُلُّ على فَضلِ التَّسبيحِ والتَّحميدِ، وكلمة ﴿تَوَّابًا﴾ التَّوَّابُ: يُوفِّقُ العبدَ للتَّوبةِ، ويَقْبلُها منه، وحقيقةُ التَّوبةِ الرُّجوعُ إلى اللهِ بالْتزامِ فِعلِ ما يُحِبُّ، وتَرْكِ ما يَكْرَهُ.

عن جابرٍ رضيَ اللهُ عنه: (أنَّ رجُلًا قامَ فركَعَ ركعتَيِ الفَجرِ فقرأَ في الرَّكعةِ الأُولى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ حتَّى انقَضَت السُّورةُ، فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: هذا عَبدٌ عَرَفَ ربَّه، وقرأَ في الآخرةِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتَّى انقضَت السُّورةُ، فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: هذا عَبدٌ آمَنَ بربِّه).

عن نَوْفَلٍ الأَشْجَعِيّ رضيَ اللهُ عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال له: اقرأْ عندَ مَنامِك ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، قال: ثُمَّ نَمْ على خاتِمَتِها، فإنَّها براءَةٌ مِن الشِّرْكِ)

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (لَيْسَ فِي الْقُرآنِ أَشَدُّ غَيْظًا لإِبْلِيس مِنْهَا، لِأَنَّهَا تَوْحِيدٌ وَبَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ).

نص البيعة:

(اللهم إني تبت إليك، وندمت على ما فعلت، ورضيت بسيدي محمد عثمان الميرغني الختم، شيخاً لي في الدنيا والآخرة، ثبتني اللهم على محبته وطريقته في الدنيا والآخرة، بحق سيدنا محمد ابن عبد الله بن عدنان، وبحق بسم الله الرحمن الرحيم... وتقرأ الفاتحة سراً، ثم تقرأ سورة العصر).

سؤال: هل للإنسان المذنب توبة؟

قال الله تعالى في أمر من تاب إلى الله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

وفي الحديث قال النبي ﷺ: (الإسلام يهدم ما كان قبله، والتوبة تهدم ما كان قبلها).

التوبة: هي الرجوع إذا رجع، وعُرفاً: الرجوع عن الذنب إلى الطاعة، وهي تضاف إلى العبد قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾... الآية، فتاب عليهم عائدة على الله سبحانه وتعالى برجوع إنعامه وألطافه لكونه خالقها وميسر أسبابها، والراجع بهم من المذمومات إلى كل محمود.

وقال تعالى: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾.

ومدار العهد والتوبة هو الرجوع إلى الله المصرح به في قول الله تعالى: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وفي مصنف ابن أبي شيبة: (جَاءَ رَجُلٌ إلَى عُمَرَ فَقَالَ: إنِّي قَتَلْت فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ، قَالَ: نَعَمْ، فَلَا تَيْأَسْ، فَقَرأَ عَلَيْهِ مِنْ حَمَّ الْمُؤْمِنِ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾).

وعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: " كَانَ يُقَالُ: تَوْبَةُ الْقَاتِلِ إذَا نَدِمَ ".

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

جاء في الرسالة للقيرواني المالكي:

(أن الله سبحانه ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات، وصفح لهم بالتوبة عن كِبَارِ السيئات وغفر لَهُم الصغائر باجتناب الكبائر). انتهى

جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَفَّارَةُ الذُّنُوبِ النَّدَامَةُ). والندم من أركان التوبة، وفيها قال القرطبي: " التوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء:

الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، وإضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سيء الخلاّن ".

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾.

وفي حالة القتل، قال الإمام الغزالي: "وأما ما كان في النفس، فتمكنه من القصاص وأولياءه، حتى يقتص منك أو تجعل في حلٍ، فإن عجزت، فالرجوع إلى الله سبحانه وتعالى والابتهال إليه أن يرضيه عنك يوم القيامة ".

جَاءَ رَجُلٌ إلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: (لِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا تَوْبَةٌ ؟ قَالَ: لَا إلَّا النَّارُ، فَلَمَّا ذَهَبَ قَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ: مَا هَكَذَا كُنْت تُفْتِينَا، كُنْت تُفْتِينَا أَنَّ لِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا تَوْبَةً مَقْبُولَةً، فَمَا بَالُ الْيَوْمِ؟ قَالَ: إنِّي أَحْسِبُهُ رَجُلٌ مُغْضَبٌ يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا، قَالَ: فَبَعَثُوا فِي أَثَرِهِ فَوَجَدُوهُ كَذَلِكَ).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْقِلٍ أَنَّ أَبَاهُ مَعْقِلَ بْنَ مُقَرِّنٍ الْمُزَنِيَّ قَالَ لِابْنِ مَسْعُودٍ: (أَسَمِعْت النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: التَّوْبَةُ نَدَمٌ ؟ قَالَ: نَعَمْ).

وفي سنن ابن ماجة: (عَنْ ابْنِ مَعْقِلٍ قَالَ دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: النَّدَمُ تَوْبَةٌ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ النَّدَمُ تَوْبَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ).

وعند الإمام أحمد: (عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَائِشَةُ إِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الذَّنْبِ النَّدَمُ وَالِاسْتِغْفَارُ).

قال الإمام النووي رحمه الله: " فَنُقَرِّرُ أَوَّلًا أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ بِأَجْمَعِهِمْ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَأَهْلِ الْحَدِيثِ، وَالْفُقَهَاءِ، وَالْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى مَذْهَبِهِمْ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ، أَنَّ أَهْلَ الذُّنُوبِ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَتَشَهَّدَ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، فَإِنَّهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، فَإِنْ كَانَ تَائِبًا أَوْ سَلِيمًا مِنَ الْمَعَاصِي دَخَلَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ رَبِّهِ وَحَرُمَ عَلَى النَّارِ بِالْجُمْلَةِ، فَإِنْ حَمَلْنَا اللَّفْظَيْنِ الْوَارِدَيْنِ عَلَى هَذَا فِيمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ كَانَ بَيِّنًا ". انتهى

وعن الإمام النووي رحمه الله أيضا: "واتفقوا على أن التوبة من جميع المعاصي واجبةٌ، وأنها واجبة على الفَوْر، سواء كانت المعصية صغيرةً أو كبيرة، والتوبةُ من مهمات الإسلام وقواعده المتأكِّدة، ووجوبُها عند أهل السُّنة بالشرع ". انتهى

من ثمرات التوبة:

قال سبحانه وتعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

وفي الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، مِنَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ).

أُنظر سورة الفرقان قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾.

- تلبية نداء الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم أن الله غفور رحيم، فكان منا الإسراع إلى التوبة، وهذا إتباع لنداء الله تعالى.
- تدخل في محبة الله سبحانه.
- أن الله يفرح بتوبة العبد، وهنا معاني عوائد تنزيل الرحمات على من فرح الله به.
- تبديل السيئات إلى حسنات، ومغفرة من الله.
- البُعد عن العذاب، والدخول في معية الرحمة.

أقول: إن العوام يظنون إطلاقها وإظهار العزم على ترك المعصية فيما يأتي، وهذا ليس المراد فقط، بل الندم مع التوبة والأسف على ما فاته، والحسرة والعزم على أن يقضي ما فاته، وذلك فيما بينه وبين الله سبحانه.

أما ما بينه وبين العباد من مظالم فعليه ردها إليهم واستبراء نفسه، وذلك كما هو حال من أراد أن يحج فعليه مثل ذلك، وهنا الأمر هو حج القلوب والأرواح مع تزكية النفس.

للتوبة شروط فمنها:

- إحياء صلة الأرحام، وإن كانت منقطعة.
- أداء حق كل إنسان كان سواء مسلم أو غير مسلم، وإن كان حق أدبي مثل الاعتذار عن قول أو فعل، ومنها حق الجار.
- أداء ما عليه من حقوق مالية، أو مواريث، و تعدي على حقوق الغير.

وخلاصة القول هو التعفف عن كل ظلم، أو إثم، أو وزر.

قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ، مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ).

فمن آيات القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، ﴿ وأنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَتاعًا حَسَنًا﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً

نَّصُوحًا﴾، ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾، ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾ ، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

****

الفصل الرابع
إتخاذ الإمام الختم شيخاً لك

من نص البيعة: (ورضيت بسيدي محمد عثمان شيخنا في الدنيا والآخرة)

الدليل على مشروعية هذه البيعة من ناحية النص:

هى من أتم العهود حيث أن الله شاهد على هذا العهد، فإذا كان الإمام الختم داعي إلى الهُدىَ فقد استمسك به كل سالك في الدنيا بالعمل على منواله، وفي الآخرة حيث يكون مسؤول عنه بإشارة بشارة ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾.

قال الله تعالى مؤيدا لذلك: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾، فكان الاستثناء لأهل الحق الذين كانت خُلتهم دالة على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وأيضاً قوله سبحانه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

وقد جاء فى تفسير ابن كثير:

﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ أي يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها من الآباء والأهلين والأبناء ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين لتقر أعينهم بهم، حتى إنه تُرفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى امتناناً من الله وإحساناً، من غير تنقيص للأعلى عن درجته، كما قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾... الآية.

وفي تفسير الطبري:

قوله تعالى ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ يا عِبادِي لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ولا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، يقول تعالى ذكره المتخالون يوم القيامة على معاصي الله في الدنيا بعضهم لبعض عدو يتبرأ بعضهم من بعض، إلا الذين كانوا تخالوا فيها على تقوى الله... إلخ.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صال، قال: ثني معاوية، عن علي، عن بن عباس قوله ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾. انتهى

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾... الآية. انتهى

"الإمام مَن يُؤتم به، فيدعون بمن كانوا يأتمون به في الدنيا".

قال الله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ج يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

جاء في الصحيح: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بعضُه بَعْضًا وشبّك بيْن أصَابعه).

وفي الصحيح أيضاً: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وتعاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ).

وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وأنظر إلى قول الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾.

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره: (أي: جماعة بعد جماعة: المقربون ، ثم الأبرار ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم: الأنبياء مع الأنبياء والصديقون مع أشكالهم ، والشهداء مع أضرابهم ، والعلماء مع أقرانهم ، وكل صنف مع صنف ، كل زمرة تناسب بعضها بعضا).

وقد أخرج ابن أبي شيبة، عن كعب رضي الله عنه قال: (يؤتى بالرئيس في الخير يوم القيامة فيقال: أجب ربك، فينطلق به إلى ربه فلا يحجب عنه فيؤمر به إلى الجنة، فيرى منزله ومنازل أصحابه الذين كانوا يجامعونه على الخير ويعينونه عليه، فيقال: هذه منزلة فلان، وهذه منزلة فلان، فيرى ما أعد الله في الجنة من الكرامة، ويرى منزلته أفضل من منازلهم، ويُكسىَ من ثياب الجنة، ويوضع على رأسه تاج، ويعلقه من ريح الجنة، ويشرق وجهه حتى يكون مثل القمر ليلة البدر، فيخرج فلا يراه أهل ملأ إلا قالوا: اللهم اجعله منهم، حتى يأتي أصحابه الذين كانوا يجامعونه على الخير ويعينونه عليه فيقول: أبشر يا فلان فإن الله أعد لك في الجنة كذا، وأعد لك في الجنة كذا

وكذا، فلا يزال يخبرهم بما أعد الله لهم في الجنة من الكرامة، حتى يعلو وجوههم من البياض مثل ما علا وجهه، فيعرفهم الناس ببياض وجوههم، فيقولون: هؤلاء أهل الجنة). انتهى

****

الفصل الخامس

المقدمات

وهي ما يتقدم به المريد في طريق أهل السلوك على منوال شيخ الطريقها ومؤسسها الذي وضع أذكارها بكيفيات وأعداد تعالج النفوس الإنسانية.

يشرع المريد بعد أخذ العهد في التلقين بالذكر (لا إله إلا الله)، وعددها سبعون ألف مرة (70,000) والتلقين من الخليفة إلى المريد بكيفية النطق وخروج الكلام واضح و بسكينة وكيفية الاستحضار.

ملحوظة: يجب على من يُلقن المقدمات للمريد أن يكون أخذها بالتلقين وقام بالعمل بها وبحقها.

لعل كل مريد يحتاج إلى وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لسيدنا معاذ، وهي دستور كل سالك أو متوجه إلى الله:

(قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْصِنِي ، قَالَ: اُعْبُدْ اللَّهَ كَأَنَّك تَرَاهُ وَاعْدُدْ نَفْسَك مِنْ الْمَوْتَى ، وَاذْكُرْ اللَّهَ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ ، وَإِذَا عَمِلْت السَّيِّئَةَ فَاعْمَلْ بِجَنْبِهَا حَسَنَةً، السِّرُّ بِالسِّرِّ وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ).

أحاديث وردت في التلقين:

أورد الإمام أحمد في مسنده، والبزار، والحاكم في مستدركه: عَنْ يَعْلَى بْنِ شَدَّادٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ حَاضِرٌ يُصَدِّقُهُ قَالَ: (كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ يَعْنِي أَهْلَ الْكِتَابِ؟ فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَمَرَ بِغَلْقِ الْبَابِ وَقَالَ: ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ وَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَرَفَعْنَا أَيْدِينَا سَاعَةً، ثُمَّ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَأَمَرْتَنِي بِهَا وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الْجَنَّةَ، وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، ثُمَّ قَالَ: أَبْشِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ).

وهذا حديث في التلقين الجماعي، وينظر في هذا الحديث، الحذر من أهل الضلال، وإعطاء التلقين لإهل الصلاح، ويظهر فيه إختصاص.

وأيضا جاء في مسند الإمام أحمد: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (لَقَّنَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَأَمَرَنِي إِنْ نَزَلَ بِي كَرْبٌ أَوْ شِدَّةٌ أَنْ أَقُولَهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْكَرِيمُ الْحَلِيمُ سُبْحَانَهُ، وَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: (يا أبا هريرةَ لَقِّنِ الْمَوْتَى شهادةَ أن لا إلهَ إلا اللهُ، فإنها تَهدِمُ الذنوبَ هدمًا، قلتُ: يا رسولَ اللهِ هذه لِلمَوْتَى فكيف للأحياءِ؟ قال: صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم هي أَهْدَمُ وأَهْدَمُ).

عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: (لقِّنوا موتاكم: لا إلهَ إلَّا اللهُ الحليمُ الكريمُ ، سبحان اللهِ ربِّ العرشِ العظيمِ ، الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، قالوا: يا رسولَ اللهِ كيف للأحياءِ؟ قال: أجودُ ، وأجودُ).

عن سيدي أبي سعيد الخدري قال: (أنَّ موسى عليه السلام قال: يا رَبِّ، علِّمْني شيئًا أذكُرُك وأدعوك به، قال: يا موسى، قل: لا إلهَ إلَّا اللهُ، قال: يا رَبِّ، كلُّ عبادِك يقولون هذا، قال: قُلْ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، قال: لا إلهَ إلَّا أنت يا رَبِّ، إنما أريدُ شيئًا تخُصُّني به، قال: يا موسى، لو أنَّ السَّمواتِ السَّبعَ وعامِرَهن غيري، والأَرَضينَ السَّبعَ في كِفَّةٍ، ولا إلهَ إلَّا اللهُ في كِفَّةٍ، مالت بهنَّ لا إلهَ إلَّا اللهُ).

وجاء في البخاري عن سيدنا أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وفي قَلْبِه وزْنُ شَعِيرَةٍ مِن خَيْرٍ، ويَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وفي قَلْبِهِ وزْنُ بُرَّةٍ مِن خَيْرٍ، ويَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وفي قَلْبِه وزْنُ ذَرَّةٍ مِن خَيْرٍ).

كيفية المقدمات:

يبدأ المريد في الذكر بعد صلاة ركعتي التوبة مباشرةً، وفي نفس مجلسه عقد الصلاة، و يشرع في الذكر بـ (لا إله إلا الله)، وأقل العدد في هذا المجلس مائة مرة (100).

على المريد مداومة الذكر يومياً دون انقطاع، وأقل عدد (500) خمسمائة مرة يومياً، مع الحضور والسكينة، والأمر ليس بسرعة الإنتهاء، ولكن بمدى تأثير الذكر في المريد والإحساس بتغيير في نفسه وأمره إلى حالٍ أفضلَ مما كان عليه سابقاً، ويمكن الزيادة على هذا العدد حسب ما يرى من يواليك في السلوك.

ثم بعد الانتهاء من الذكر بـ (لاإله إلا الله) يرجع إلى من يُسَلِّكُهُ في الطريقة، وذلك للانتقال إلى ذكر مرحلة ترقي أخرى.

أحاديث واردة في ذكر التهليل:

روى الترمذي، وابن ماجه، وصححه ابن حبان: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أفضل الذكر لا إله إلاّ الله، وأفضل الدعاء الحمد لله).

وفي "مسند البزار " وغيره، عن عياض الأنصاري عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن لا إله إلا الله كلمة حق على الله كريمة، ولها من الله مكان، وهي كلمة من قالها صادقاً أدخله الله بها الجنة، ومن قالها كاذباً حقنت دمه، وأحرزت ماله، ولقي الله غدا فحاسبه).

وفي "سنن ابن ماجه " عن أم هانئ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا إله إلا الله لا تترك ذنبا، ولا يسبقها عمل).

وفي "المسند" أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لأصحابه: (جددوا إيمانكم، قالوا: كيف نجدد إيماننا؟ قال: قولوا: لا إله إلا الله، وهي لا يعدلها شيء في الوزن، فلو وزنت بالسماوات والأرض رجحت بهن).

عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من عبد يقول : لا إله إلا الله والله أكبر إلا أعتق الله ربعه من النار، فإن قالها مرتين أعتق الله شطره من النار، فإن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، فإن قالها أربعاً أعتقه الله من النار).

وللزيادة في معرفة فضل (لاإله إلا الله) عليك برسالة الجد سيدي عبد الله الميرغني المحجوب "المنن الكبرى مِن الله في بعض فضائل لا إله إلا الله".

الشروع في الذكر بسورة الاخلاص:

يشرع المريد في الذكر بسورة الاخلاص، وذلك بعد الانتهاء من التهليل، يتوجه إلى الخليفة المسؤول عن تسليكه، ويبتدأ بالصلاة مرة أخرى بنفس النية (التوبة والتوجه إلى الله مع الاخلاص)، ثم يشرع في ذكر سورة الاخلاص (100 ألف) مرة، وأول (100)مائة مرة بعد الصلاة في ذات المجلس مباشرة، ثم يستطيع الاكمال بعد ذلك، وأقل الذكر اليومي 100 مرة في اليوم، ويمكن الزيادة على ذلك حسب الهمة.

أحاديث واردة في سورة الاخلاص:

جاء في صحيح الإمام مسلم: (أَيَعجِز أحَدُكُمْ أنْ يَقْرَأَ في لَيْلَةٍ ثُلُثَ القُرْآنِ؟ قالوا: وكيفَ يَقْرَأْ ثُلُثَ القُرْآنِ؟ قالَ: ﴿قُلْ هو اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ).

وفي فتح القدير للإمام الشوكاني، وأيضاً في تفسير الإمام ابن كثير: (من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ خمسين مرَّةً غُفِر له ذنوبُ خمسين سنةً).

وأرد الإمام الترمذي: (مَن قرأَ كلَّ يومٍ مائتي مرَّةٍ ﴿قل هوَ اللَّهُ أحدٌ﴾ مُحِيَ عنهُ ذنوبُ خَمسينَ سنةً، إلَّا أن يكونَ عليهِ دَينٌ).

أيضا للإمام ابن كثير في تفسيره أورد: (مَن قرأَ في يومٍ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ مائتَيْ مرَّةٍ كتبَ اللهُ له ألفًا وخمسَمائةِ حسنةٍ، إلَّا أن يكونَ عليهِ دَيْنٌ).

وفي كتاب الترغيب والترهيب للإمام المنذري: (من قرأ كلَّ يومٍ مئةَ مرةٍ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، محا عنه ذنوبَ خمسين سنةً ، إلا أن يكونَ عليه دَينٌ).

وفي الجامع الصغير: (مَن قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مِائةَ مَرَّةٍ ، غفر اللهُ له خطيئةَ خَمْسِينَ عامًا، ما اجْتَنَبَ خِصَالًا: الدماءَ، والأموالَ، والفُرُوجَ، والأشرِبةَ).

وقد أورد الإمام النسائي: (.... أقبلتُ معَ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فسمعَ رجلاً يقرأُ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾، فقالَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: وجبت، فسألتُهُ: ماذا يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: الجنَّةُ).

إن فضل سورة الاخلاص عظيم، ولعل الإمام الختم يريد من المريد أن يتمكن فيه ذكر الله سبحانه بكلام الله تعالى، وتوحيد الله تعالى، وأنها سبب محبة الله للعبد.

جاء في صحيح الإمام البخاري حديث الصحابي الذي كان يختم كل صلاة بها:

(أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا علَى سَرِيَّةٍ، وكانَ يَقْرَأُ لأصْحَابِهِ في صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بقُلْ هو اللَّهُ أحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذلكَ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: سَلُوهُ لأيِّ شيءٍ يَصْنَعُ ذلكَ؟، فَسَأَلُوهُ، فَقالَ: لأنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وأَنَا أُحِبُّ أنْ أقْرَأَ بهَا، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أخْبِرُوهُ أنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ).

ففي المقدمات أعظم توحيد إلى الله بكلام الله، وبما وَصَفَ نفسه سبحانه، وذلك لتعليم المريد أن المراد من السلوك تصحيح التوجه والإقبال على الله.

الشروع في الذكر بالبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم):

وهي بنفس الكيفيات السابقة بعد صلاة الركعتين يوم الأربعاء، ولكن ذكر البسملة في نفس المجلس دون انقطاع.

والذكر بالبسملة عدده (12000) اثنتي عشرة ألف مرة، في مجلس واحد.

ومن فضائلها أنها مرتبطة بكل أمر في حياة الإنسان، في الأكل فيزيد بركة ونفع، وفي المشرب، بل حتى الذبح لا يُقبل إلا بذكر الله عليه بالبسملة.

البسملة وردت فى أعمال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

وردت البسملة في خطابات النبي صلى الله عليه وسلم للملوك، وأيضاً جاءت على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال الله تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقال تعالى في خطاب سيدنا سليمان عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

وفي صحيح البخاري، باب الشروط: (فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم، قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اكتب باسمك اللهم.....).

أورد الحافظ ابن كثير في تفسيره: (عن ابن عباس؛ أن عثمان بن عفان سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: هو اسم من أسماء الله، وما بينه وبين اسم الله الأكبر ، إلا كما بين سواد العينين وبياضهما من القرب).

وقد أورد الحافظ ابن مردويه: من حديث يزيد بن خالد، عن سليمان بن بريدة.

وفي رواية عن عبد الكريم أبي أمية، عن ابن بريدة، عن أبيه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أنزلت علي آية لم تنزل على نبي غير سليمان بن داود وغيري، وهي بسم الله الرحمن الرحيم).

عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبد الله، قال: (لما نزل بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم إلى المشرق، وسكنت الرياح، وهاج البحر، وأصغت البهائم بآذانها، ورجمت الشياطين من السماء، وحلف الله تعالى بعزته وجلاله ألا يسمى اسمه على شيء إلا بارك فيه).

وعند الإمام أبي داوود في سننه: عن أبي المليح عن رجل قال: (كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فعثرت دابة فقلت: تعس الشيطان، فقال: لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ويقول بقوتي، ولكن قل: بسم الله، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب).

وعند الإمام أحمد، والنسائي في اليوم والليلة، وابن مردويه في تفسيره: عن أبي المليح بن أسامة بن عمير، عن أبيه، قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقال: (لا تقل هكذا، فإنه يتعاظم حتى يكون كالبيت، ولكن قل: بسم الله، فإنه يصغر حتى يكون كالذبابة).

وفي كتاب الدر المنثور للإمام السيوطي: أخرج الديلمي في "مسند الفردوس" عن ابن عباس مرفوعا: (إن المعلم إذا قال للصبي قل: بسم الله الرحمن الرحيم، كتب الله للمعلم وللصبي ولأبويه براءة من النار).

وأخرج أبو نعيم والديلمي عن عائشة قالت: (لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم ضجت الجبال حتى سمع أهل مكة دويها، فقالوا: سحر محمد الجبال، فبعث الله دخاناً حتى أظل على أهل مكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم موقناً سبحت معه الجبال إلا أنه يسمع ذلك منها).

ما جاء فى فضل عدد البسملة:

أورد محدث المغرب العلامة المحقق السيد محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني فى كتابه "السر الحقي الامتناني الواصل إلى ذاكر الراتب الكتاني" قوله:

(ذكر العارف البكري في "لوامع الأسرار إلي مطلع الأنوار": أن من قرأ البسملة اثنى عشر ألف مرة كان كمن افتدى نفسه من النار، وكانت له زيادة في عمره)أنتهي

وقد نظم فدية البسملة و الهيللة والإخلاص الشيخ العالم أبوعبد الله محمد ابن الحاج التلمساني فقال:

سبعـــون ألفا فِدْيَة مِنْ هَيلَلَة   يب ألوف فدية مِنْ بَسمَلَة
وَفِــدِيَةُ الـصلاةِ والـســلامِ   عــلى رَسُولِ الله ألفَ عَامَ
وَفديةُ الإخلَاصِ قَد نلتَ الأمل   مائة ألف كَيفَما كَانَ العَمَل

تفسير لما جاء عن الناظم عن عدد البسملة:

(يب) وفي حساب الجمل (ي = 10 ، ب = 2) يعنى 12 ألوف وهي الاثنا عشر ألف مرة، وهذا توضيح للعدد.

وغيره قال:

وفديةُ البسمَلةَ المشـهـُورةِ   يب من الألوف قل مذكورة
ومائة ألف للإخلاصِ وَلا   يشتــرطُ اتَصالٌ كَيفَما تَلَا

جاء في كتاب مراقي التواق إلى محاسن الإعمال ومكارم الخلاق للشيخ محمد المختار عابدين بن المختار بن محمد المالكي الشنقيطي:

(قال الشيخ محنش باب من فوائد البسملة: "أن من قالها اثنى عشر أبلف مرة في عمره كانت فداءه من النار").

وفي كتاب أنيس الخائفين وسمير العارفين في شرح شطرنج العارفين:

(بعض ما ورد فيه أنه فداء من النار : "الأول منه قول: لاإله إلا الله، سبعين ألف مرة، .... قراءة البسملة اثنى عشر ألفاً...").

وقد أورد شيخ الاسلام مصطفى البكري فى كتابه الضياء الشمسي على الفتح القدسي قوله:

(فائدة: للإمام أبي الحسن الشاذلي وهي:"من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم اثنا عشر ألف مرة فك رقبته من النار، واستجيبت دعوته").

وأورد فضلها الشيخ محمد عليش فى شرحه المسمى بهداية المريد لعقيدة التوحيدبقوله: "ثنا عشر ألفا من البسملة ذكره اليوسى".

كل ذلك في فضل البسملة، وأما العدد المذكور ففي هذا علم لأهل الله مكنون، ويكفي أن الذاكر بمقدمات الطريقة تكون صحيفته يوم القيامة بها صدق التوحيد بالله بذكره (لا إله إلا الله) و(سورة الاخلاص) و (البسملة) فالثلاثة توحيد خالص، ولما لا والبسملة مفتتح كل قول أو عمل؛ بل وبها معاني التوكل على الله سبحانه وتعالى.

الذكر بما لم يريد عن النبي صلى الله عليه وسلم "بإختصار":

جاء في حديث رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه، قال: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ، قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «مَنْ الْمُتَكَلِّمُ؟» قَالَ: أَنَا. قَالَ: «رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ» رواه أحمد والبخاري.

يقول الحافظ ابن حجر في "فتح الباري"بعد ذكره هذا الحديث: (واستدل به على جواز إحداث ذكر في الصلاة غير مأثور إذا كان غير مخالف للمأثور) اهـ.

وكذلك الحال في إنشاء ذكر غير مأثور في الصلاة، فالأمر خارج الصلاة أوسع من باب أولى.

شيخ السلفية و الذكر العددي:

قال الإمام ابن القيم فى كتابه مدارك السالكين: (ومن تجريبات السالكين التي جربوها فألفوها صحيحة أن من أدمن "يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت" أورثه ذلك حياة القلب والعقل.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه، شديد اللهج بها جدا ، وقال لي يوما : لهذين الاسمين وهما الحي القيوم تأثير عظيم في حياة القلب، وكان يشير إلى أنهما الاسم الأعظم ، وسمعته يقول: "من واظب على أربعين مرة كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر يا حي يا قيوم ، لا إله إلا أنت ، برحمتك أستغيث حصلت له حياة القلب ، ولم يمت قلبه") أنتهي.

وفي هذا النقل عدة وقفات:

- علم الامام ابن القيم بمجربات الصالحين، وأنها صالحة للاتباع والعمل بها.
- صحة التجربة بما عرف من صحة العمل، دون أنكار.
- أن الذكر له تأثير بقوله: (أورثه ذلك حياة القلب و العقل).
- القول على ابن تيمية "شيخ الاسلام"، وهو وصف لم يرد فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة، فهو قول مبتدع، (كما هو قولهم بدعة).
- (قدس الله روحه) كلمة لم تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو الصحابة، فهي بدعة عن أتباعة أيضا.
- قوله: (شديد اللهج بها جدا) يدل على كمال الاعتقاد فى الفعل، وأنه يقر بالتجربة وصحتها.
- عمل شيخه ابن تيمية برؤي الصالحين المنامية والعمل بها، و صاحب الرؤية هو الولى الصالح الكتاني رحمه الله.
- (من واظب على أربعين مرة) هنا موضوع العدد، فهو قيد الذكر بعدد، ووجد أنه له تأثير، رغم أنه لم يروى عن صاحب الشرع سيدنا رسول ﷺ، (هنا ابن تيمية فعل بدعة).

- (كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر) أيضا قام بتقيد وقت وزمان لهذا الذكر، وعند أتباعه هذه بدعة كبرى، فأنه قام بزيادة لم ترد فى الشرع، فهو يزيد فى العبادات مقيدة بزمان.

ليس هنا مجال الخوض فى هذا الكلام ولكن حتى نعلم الحق وجواز الفعل.

****

الفصل السادس

الحقوق المترتبة على بيعة الإمام الختم

ما يترتب على البيعة لدى الإمام الختم:

على كل من أخذ العهد الخاص بالطريقة يكون ملتزم تمام الالتزام بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يظن أحد أن التصوف خارج عن الشريعة المطهرة، فهذا خبل في فكر كل جاهل بالتصوف.

يقول الإمام الختم رضي الله عنه في قصيدته السر الظاهر والنور الباهر:

سلامٌ على من يهتوي سر مَطلبي ومن يسلكن سيري إلى حق مَذهَبي

ثم يقول رضي الله عنه:

وتُب تَوبةً تُدنيك نَحو محاســناً وشرطٌ لها ندمٌ واقلع عن الذنبي
وانوي لِعدم العود إليه مُرجــياً وقد تُبت مهما جاء شرطُ لِتَائبي

أولاً: النية:

النية الخالصة بالتوبة، وصدق التوجه إلى الله سبحانه وتعالى، مع الاخلاص في العبادة، وليس السلوك في الطريق من أجل أمر دنيوي، أو من أجل الكرامات، والرئاسة، وشهوة التمكين في الخلق.

ثانياً: التوبة:

قال الإمام الختم رضى الله عنه: " التوبة أول باب يدخل منه العبد إلى ميدان المريدين، وهي موضع يحتاج إليه كل العارفين، وتوبة العوام من الأوزار، وتوبة الخواص من الوقوف مع الأنوار، وتوبة خواص الخواص من ملاحظة سِوَىَ العزيز الغفار ". انتهى

ثالثاً: الاستغفار:

قال الإمام الختم رضي الله عنه: " الاستغفار هو الغاسل يا إخون عن قلوبكم درن المعاصي والأوزار، من استغفر من ذنبه نال طلبه, ومن استغفر من مشاهدة كونه فقد تهيأ لقربه، ومن استغفر من التفاته إلى غير ربه فذلك الفائز بحبه، استغفر أيها العبد ولو كنت مِن المقربين، فقد كان يستغفر الرسول صلى الله عليه وسلم كل يوم أكثر مِن سبعين، وكلٌّ استغفاره ورجوعه على قدر مقامه يا محبين ".

رابعاً: التحذير من المعاصي:

قال الإمام الختم رضي الله عنه: " المعاصي تذهب حلاوة الأنوار ولذتها، وتُفني حقائق الأسرار وبهجتها.

الزنا، والغيبة، والنميمة، والكذب، والبهتان، قريبٌ لمن انكب عليهم أن يسلبوه الإيمان.

والإنكار على الصالحين، والتهاون في الفروض، والتجرؤ على المحارم، صاحبهم يتعرض لسوء الخاتمة، ولنفسه ظالم.

الظُّلمة الغفلة عن الله مِن المبعدات عن طرق الخيرات، وتضييع للأوقات في الاشتغال بالرخص المباحات عند أهل التيقظ مِن أكبر الهفوات.

والالتفات إلى الأكوان لدى أهل الحضور في حضرة المنان معدودصاحبه في أهل الخسران، وإن صحبه من لايحرك همتك إلى الله بالقال والحال فهي المقت، وأي مقت أعظم مِن هذا الإهمال.

مَن أساء الأدب مع شيخ تربيته فقد استحق أن يسقط من عين الله وحضرته، ومن انكب على أبواب السلاطين فقد تعرض للدخول في سبيل الشياطين.

لا تنكر على أهل الإذن ما فعلوا، وسلم لهم تسلم، ولا تكن مبلو.

والإعتراض على فرد من آحاد المؤمنين فعاقبته خُسرٌ وتهوين ". انتهى

خامساً: الاستغراق فيما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم مِن فروضٍ وسُنن:

- **يقول الإمام الختم رضى الله عنه في أبيات متفرقة من قصيدته السر الظاهر:**

وواظب تلاوةً للكتاب فإنهُ يُقالُ لِتاليهِ اقرأ وارقَ وارتقي
بفكرِكَ مهماَ تقرأ واعلم بِأنك تُناجي كَبيراً جلَ ياَ مُتقربي
وقِــف ذا على رأسٍ لآيٍ فهذه أتت سُـــــنة بمجتبى منهُ مُجتبي

- **جاء عن الجد مولانا السيد عبد الله الميرغني المحجوب الحسيني الطائفي رضي الله عنه:**

" وكَانَ للسَّلَفِ الصَّالِحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَادَاتٌ مُخْتَلفَةٌ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانُوا يَخْتِمُونَ فِيهَا الْقُرْآنَ، فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ كُلُّ شَهرَيْنِ خَتْمَةً، وَمِنْهُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ خَتْمَةً، وَمِنْهُمْ فِي كُلِّ عَشْرِ لَيَالٍ، وَمِنْهُمْ فِي كُلِّ ثَمَانٍ، وَمِنْهُمْ فِي كُلِّ سَبْعٍ، وَهُوَ فِعْلُ الْأَكْثَرِ، وَمِنْهُمْ فِي كُلِّ سِتٍّ، وَفِي خَمْسٍ، وَفِي أَرْبَعٍ، وَكَثِيرُونَ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ، وَتَقَدَّمَ أَيْضًا غَيْرُ هَذَا ".

قَالَ الْغَزَالِيُّ: " التَّفْصِيلُ فِي مِقْدَارِ الْقِرَاءَةِ، إِنْ كَانَ مِنَ الْعَابِدِينَ السَّالِكِينَ بِطَرِيقِ الْعَمَلِ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَنْقُصَ مِنْ خَتْمَتَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ، وَإِنْ كَانَ مِنَ السَّالِكِينَ بِأَعْمَالِ الْقَلْبِ وَضُرُوبِ الْفِكْرِ، أَوْ مِنَ الْمَشْغُولِينَ بِنَشْرِ الْعِلْمِ، فَلَا بَأْسَ أَنْ يَقْتَصِرَ فِي الْأُسْبُوعِ عَلَى مَرَّةٍ، وَإِنْ كَانَ نَافِذُ الْفِكْرِ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ، فَقَدْ يَكْتَفِي فِي الشَّهْرِ بِمَرَّةٍ، لِحَاجَتِهِ لِكَثْرَةِ التَّرْدِيدِ وَالتَّأَمُّلِ ".

قَالَ النَّوَوِيُّ: " وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَؤُلَاءِ، فَلْيَسْتَكْثِرْ مَا أَمْكَنَهُ مِنْ غَيْرِ خُرُوجٍ إِلَى حَدِّ الْمَلَلِ وَالْهَذْرَمَةِ فِي الْقِرَاءَةِ ". انتهى

وقد اختصرت مِن تفسير ابن كثير عند قول الله تعالى ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ قول:

" كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ.

عَنْ أَبِي الْمُهَلَّبِ قَالَ: كَانَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ ثَمَانٍ.

عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ: أَنَّهُ كَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَبْعٍ.

عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: كَانَ الْأَسْوَدُ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِ سِتٍّ، وَكَانَ عَلْقَمَةُ يَخْتِمُهُ فِي كُلِّ خَمْسٍ.

عَنْ سَعْد بْنِ الْمُنْذِرِ الْأَنْصَارِيّ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثٍ؟ قَالَ: نَعَمْ . قَالَ: فَكَانَ يَقْرَؤُهُ حَتَّى تُوُفِّيَ.

عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: قَالَتْ نَائِلَةُ بِنْتُ الْفُرَافِصَةِ الْكَلْبِيَّةُ حَيْثُ دَخَلُوا عَلَى عُثْمَانَ لِيَقْتُلُوهُ: إِنْ يَقْتُلُوهُ أَوْ يَدَعُوهُ فَقَدْ كَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ بِرَكْعَةٍ يَجْمَعُ فِيهَا الْقُرْآنَ.

وَعَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّهُ كَانَ يَخْتِمُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ خَتْمَتَيْنِ، وَفِي غَيْرِهِ خَتْمَةً ". انتهى من تفسير ابن كثير.

وقال الإمام الختم رضي الله عنه أيضاً:

وقد جاء أن الحق ينزل إلى السما ... سماءٍ لدُنيا يقولُ وهو أعلمن بي
ألا ذا فهل من تائبٍ ثُم كذا يقول ... أتوبُ عليهِ وهو أفرح بتِائبي
أتانا وهل مُستغفرٌ أغفر لهُ ... فاستغفرنهُ خِلي ثُم كذا تُبي
وكم ثَمَّ أسرارٌ تُفاضُ مِن العُلا ... وديوانُ أهل الوقت في ذاك يُنصَبِ
وثَمَّ دُعاءٌ مُستجابٌ وأدفقا ... لدمعٍ واخضع يا مُريدي واسكُبي
وصل بقدرِ الاستـــطاعة واسألن ... مُرادك من رب الخــلائــق موهبي

- **وفي هذا يقول الجد سيدي عبد الله الميرغني المحجوب رضي الله عنه:**

" اعلَمْ أَنَّ الدُّعَاءَ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ مَطْلُوبٌ، رَجَاءَ مُصَادَفَةِ سَاعَةِ الْإِجَابَةِ.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ).

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ).

وَفِي رِوَايَة: (يَنزِلُ اللَّهُ سُبحانَهُ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنيا، كُلَّ لَيْلَة، حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا المَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذي يَسْتَغْفِرُنِي فأَغْفِرَ له، فَلا يَزَالُ كَذَلِكَ، حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ).

وَرُوِيَ: (إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ).

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: (أَقْرَب مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ جَوْفَ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، فَكُنْ).

وقال الإمام الختم أيضاً:

وامشي إلى نحو المساجد في الظُلَمَ ... لكي يأتك النور العظيمُ بموكبي
وصلي إذا حصلت جمعاً فإنها ... لها الخيرُ الأعلى جاء هذا عن النبي
ولا سيما في الصف الأول إن وصلت ... واخش الريا والشِركُ يُحبطُ مارُبي
وأيضاً تعمم إن ربي يصلي على ... أصحاب العمائم البياض فهم بي
وأيضاً تصدق فإن التصدق فيه ... الخيرُ وهو الفوز كالمُتطلبي
فكيف وأول ما يقع في يد الرحمن ... فهذا هو الربح العظيم فلا تبي

قول الإمام الختم رضى الله عنه:

وامشي إلى نحو المساجد في الظُلَمَ ... لكي يأتك النور العظيمُ بموكبي

وذلك إشارة لأحاديث سيدنا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم: (بشِّرِ المدَّلجين إلى المساجدِ في الظُّلَمِ بمنابرَ من النُّورِ يومَ القيامةِ، يفزَعُ الناسُ، ولا يفزَعون).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللهَ لَيُضِيءُ للذين يتخللونَ إلى المساجدِ في الظُّلَمِ بنورٍ ساطعٍ يومَ القيامةِ).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (بشّرِ المشائينَ في الظُّلَمِ إلى المساجدِ بالنورِ التامّ يومَ القيامةِ).

وقوله رضي الله عنه:

وصلي إذا حصلت جمعاً فإنها ... لها الخيرُ الأعلى جاء هذا عن النبي

قال صلى الله عليه وسلم: (فَضلُ صلاةِ الجماعةِ على صلاةِ الفَذِّ خَمسٌ وعِشرون دَرجةً).

وقوله رضي الله عنه:

ولا سيما في الصف الأول إن وصلت   واخش الريا والشركُ يُحبطُ مارُبي

قال صلى الله عليه وسلم: (لا تختلفوا فتختلفَ قلوبُكم، وَكانَ يقولُ: إنَّ اللَّهَ وملائِكتَه يصلُّونَ على الصَّفِ الأَوَّل).

وفي رواية: (كانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يتخلَّلُ الصَّفَّ من ناحيةٍ إلى ناحيةٍ يمسحُ صدورَنا ومَناكبَنا، ويقولُ: لا تختلفوا فتختلفَ قلوبُكُم، وَكانَ يقولُ: إنَّ اللَّهَ وملائِكَتَهُ يصلُّونَ على الصُّفوفِ الأُوَلِ).

وقوله رضي الله عنه:

وأيضا تعمم إن ربي يصلي على   أصحاب العمائم البياض فهم بي

قال صلى الله عليه وسلم: (ائتوا المساجِدَ حُسْرًا ومعصَّبينَ، فإنَّ العمائِمَ تيجانُ المسلمينَ).

وعنه صلى لله عليه وسلم: (إنَّ اللهَ وملائكته يُصلُّون على أصحابِ العمائمِ يومَ الجمعةِ).

وقوله رضي الله عنه:

وأيضاً تصدق فإن التصدق فيه   الخيرُ وهو الفوز كالمُتطلبي

فكيف وأول ما يقع في يد الرحمن   فهذا هو الربح العظيم فلا تبي

قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما تَصَدَّقَ أحَدٌ بصَدَقَةٍ مِن طَيِّبٍ، ولا يَقْبَلُ اللَّهُ إلَّا الطَّيِّبَ، إلَّا أخَذَها الرَّحْمَنُ بيَمِينِهِ وإنْ كانَتْ تَمْرَةً فَتَرْبُو في كَفِّ الرَّحْمَنِ حتَّى تَكُونَ أعْظَمَ مِنَ الجَبَلِ كما يُرَبِّي أحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أوْ فَصِيلَهُ).

وفي رواية: (لا يَتَصَدَّقُ أحَدٌ بتَمْرَةٍ من كَسْبٍ طَيِّبٍ، إلَّا أخَذَها اللَّهُ بيَمِينِهِ، فيُرَبِّيها كما يُرَبِّي أحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أوْ قَلُوصَهُ، حتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ، أوْ أعْظَمَ).

وفي حَديثٍ: (رَوحٍ مِنَ الكَسْبِ الطَّيِّبِ فَيَضَعُها في حَقِّها).

وقوله رضي الله عنه:

وأي صلاةٍ كنت فيها فاشهدن بأنها أخـــرُ ما تُصلي فتطيبي
وأحسن إلى من أحسن إليك ولا تُسيئن من ساءك فتعطى التقربي
بلى وأحسن للذي ترَىَ هو أساءك فــذا خُـلُقُ الطالبيــن لمشربي
كـذا وانهَ عن مُــنكرٍ تــراهُ وذا مـقامٌ وأيــضاً للحدود تجنبي

وقوله رضي الله عنه:

وأي صلاةٍ كنت فيها فاشهدن بأنها أخـــرُ ما تُصلي فتطيبي

جاء في الحديث: (جاء رجُلٌ إلى النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال: يا رسولَ اللهِ، علّمْني وأوجِزْ، قال: إذا قُمْتَ في صلاتِكَ، فصَلِّ صلاةَ مُودِّعٍ، ولا تَكَلَّمْ بكلامٍ تعتذِرُ منه، وأجمِع اليَأْسَ عمَّا في أيدي النَّاسِ).

وقوله رضي الله عنه:

وأحسن إلى من أحسن إليك ولا تُسيئن من ساءك فتعطي التقربي
بلى وأحـسن للذي ترى هو أساءك فــذا خُـلُقُ الطـالبيــن لمشربي

جاء عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا الدَّرداءِ أحسِنْ جوارَ مَن جاورَك تكن مؤمنًا، وأحِبَّ للناسِ ما تحبُّ لنفسِك تكنْ مسلمًا، وارضَ بما قسم اللهُ تكُنْ مِن أغنى النَّاسِ).

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اعْفُ عمَّنْ ظَلَمَكَ، وصِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وأحسِنْ إلى مَنْ أساءَ إليكَ، وقُلْ الحقَّ ولَوْ على نفسِكَ).

وقوله رضي الله عنه:

كـذا وانهَ عــن مُنـــكرٍ تــراهُ وذا مـقامٌ وأيــضاً للحدود تجنبي

قال صلى الله عليه وسلم: (إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ، فَقَالوا: ما لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا، قالوا: وَما حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قالَ: غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بالمَعروفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ).

وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِدْلالُ السَّائِلِ، وردُّ السلامِ، و غَضُّ البصرِ، والأَمْرُ بالمعروفِ، والنَّهْيُ عَنِ المنكرِ).

وقوله رضى الله عنه:

واركع كثيراً فالركوعُ محلُهُ عظيمٌ فاسجد يا بُني وارغبِ
أنا أعني من الرحمن إذ أنت ساجدٌ واسجد كذا قد جاء أيضاً واقــربِ

جاء عن الحبيب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَقْرَبُ ما يكونُ العَبْدُ مِن رَبِّهِ، وهو ساجِدٌ، فأكْثِرُوا الدُّعاءَ).

وأيضاً: (إذا نام العبدُ في صلاتِه باهى اللهُ بهِ الملائكةَ، يقول: عبدي روحُه عندي، وجسدُه ساجد بين يدي).

وقد جاء في كتاب عون المعبود شرح سنن أبي داوود: " أَنَّ النَّوْمَ يَنْقُضُ إِلَّا نَوْمَ الرَّاكِعِ وَالسَّاجِدِ، وَاسْتُدِلَّ لَهُ بِحَدِيثِ: (إِذَا نَامَ الْعَبْدُ وَهُوَ سَاجِدٌ يَقُولُ اللَّهُ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رُوحُهُ عِنْدِي وَهُوَ سَاجِدٌ لِي). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الزُّهْدِ، قَالُوا هَذَا الْحَدِيثُ وَإِنْ كَانَ خَاصًّا بِالسُّجُودِ فَقَدْ قَاسَ عَلَيْهِ الرُّكُوعَ". انتهى

وإليك من كلام الجد مولانا السيد إسماعيل بن عالم المراغنة السيد محمد سر الختم الميرغني رضى الله عنهم:

وحافظ على الفرائض والرواتب ولا تـلـبسه ثوبـاً ظاهريَّ
فــروض الـــدين أنـواع كثير ففرض الفرض معرفة العليَّ
وفرض العين نحو صلاة خمس ونـطــق بالشهادة ظاهريَّ
وحج البـيت فــرض عند يسر وصوم والــزكاة الــواجبيَّ

وفضل الفضل فى تحصيل علم   وتــعـليم الأمــور الواجبيٌّ
أقــل وجـود علم لكـل امرئ   أمــور الدين فانهض يا أخيٌّ
وأكــثر من كـلام الله تتــلو   وضاعف بالصلاة على النبيٌّ
هم الحـبل المتيــن بهم تمسك   هم الحصن الحصين من البليٌّ

وقوله أيضا:

ودارس من مــتون العلم فقه   ونـحـو وأحـاديث النبيٌّ

بعض حقوق العهد والطريقة من كلام الإمام الختم:

- " إن الله خلق العباد للعبادة، وجعل لهم في ذلك كمال السيادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾، وفي قوله سبحانه ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ سر مكنون، وفي أحاديث (يا عِبادي) كمال يعلمه المخلصون".
- "ومِن الحقوق حفظ الشريعة، ومراعاة أهل الطريقة، والأمر بالعروف، والنهي عن المنكر، والحضور في الصلاة، ومراقبة الأسرار والعلانيات، والإقبال على الله في جميع الساعات".
- "حمد الله الموجب لحقوق الخيرات، وشكره لمزيد الهبات، والقيام في خدمته بالنُّصح، فإنه يورثُ النُّجح، ومن أعظم ما يُسند عليه ذكر الله في كل الحالات".
- "ومِن الحقوق التخلق بأخلاقه، وإيتاء زكاته، وصوم رمضان، وحج بيته، والحج مع الاستطاعة فكن منتبهاً".
- "ومِن الحقوق الإيمان به، وحفظ صفاته، والإيمان بكتبه ورسله، والعمل بما ورد فيها مِن أوامره".
- "أن تعبده كأنك تراه، وهذا مقام الإحسان".
- "ومِن الحقوق تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به، وإتباع ما حث عليه، واجتناب ما نَهَى عن ارتكابه".

- "ومِن الحقوق إتباع سنته صلى الله عليه وسلم، والمحافظة على شريعته، وسؤال الوسيلة له عند الأذان، وكذلك عند إقام الصلاة فكن متدبراً، وكثرة الصلاة عليه الموجبة لنيل المقامات، والمرقية إلى عالي الحضرات".
- "ومِن الحقوق أن لا تخليه من باطنك، وإتباع أخلاقه لتكملك".
- "ومِن الحقوق ذوق أطوار سنته صلى الله عليه وسلم، وتوجه قلبك لاستنزال منته، وطلب القوة مِن عظيم تمكنه".
- "ومِن ذلك التأدب بين يدى الشيخ، وحفظ ما لديه".
- "حفظ حرمة الشيخ حياً وميتاً، ومشاهدتك له في كل حال، وأن تعادي من يعاديه، وأن تجلس جلوس الصلاة عنده، وأن تفنىَ فيه ومريده".
- "ومِن الحقوق حق الشيخ، وحق إخوان السلوك، وحق الأجنبي، وهذا يدخل ضمن حقوق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم".
- ومِن الحقوق حفظ حرمة أولياء الله، والاستمداد من الترضي عنهم.
- وأيضا إظهار الأدب والمحبة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- وللمزيد فعلى المريد المبتدئ مراجعة رسائل الطريقة.
- على الخلفاء قراءة ومدارسة هذه الرسائل والكتب مع المريدين فنها:

م	المصنف	م	مصنفات علمية
1	منظومة الوصية وشرحها	1	منظومة " منجية العبيد "
2	رسالة الوصية المُسماة الدرر المهداة للسالكين	2	رسالة فضل " لا إله إلا الله "
3	الزهور الفائقة في معرفة حقوق الطريقة الصادقة	3	الإيضاح المبين بشرح فرائض الدين
4	رسالة الهبات المقتبسة لإظهار المسائل الخمسة	4	الأربعون حديثاً ضمن مشكاة الأنوار
5	رسالة منوال الطريقة الطاهرة النورانية	5	الأربعون حديثاً في الوصايا

6	رسالة الفتح المبروك في كثير من آداب السلوك	6	الأربعون حديثاً في التصوف
7	رسالة الحضور في الصلاة	7	كتاب ختام الأمالي في الحديث
8	شرح المنبهجة للسيد جعفر الصادق الميرغني	8	الانوار المنبهلة على الاذكار المستعملة
9	رسالة السر الإلهي الحائط	9	الوعظ الثمين
10	التحذير من الدنيا الغرارة		
11	قصيدة النصائح الوهبية للسيد إسماعيل الميرغني		

****

الفصل السابع

بيان مذهب ومسلك الإمام الختم رضي الله عنه في الطريقة

قال الإمام الختم رضي الله عنه:

وصَّى الإلهُ بالصلاة علىَ نُور الوجود صفي الحق فاشتغل
وأنبأ سبحانه بأن فيها لنا عين الوصول نعم هي أقوم السبل

ويقول بعد عدة أبيات:

أما الصلاة على جنابه العـالي فديدني مذهبي طريقتي عملي
من شاء يدركني فالفوز يدركه والله والله كـل الفـوز منبذل

وقال رضي الله عنه:

أيا مركزَ الحسن العظيم المحببِ أيا قده كالـغـصن ميلاً وأرطبِ
عيون المها ترمي لسهم بحاجبِ كقوس له التدوير يا نعم مذهبِ
محبة محبوب العلي المُهيَّبِ

وقال رضي الله عنه:

أهيم بطه مُذ أعش وإن أمت سأوكل طه من يهيم ُبه دهري

أما الدليل على الارتباط بسيد الوجود صل الله عليه وسلم المشار إليه عند الإمام الختم رضي الله عنه:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾...الآية ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾...الآية.

أولاً: إذا كانت معاني الارتباط به صلى الله عليه وسلم تقام على هاتين الآيتين لكفىَ مِن دليل على ديمومة ذكر الرحمة، والمداومة على عمل يوافق مراد الله، وقد أمر به الملأ الأعلى، فالصلاة عليه دائمة ولا تنقطع، وجاءت على عموم الملائكة، وقد أراد الله أن تكون في العالم

السفلي لأهل الاختصاص بقوله ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فتكون ديمومة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم إلى ما شاء الله.

ثانياً: الارتباط بالصلاة والسلام عليه، وهي من مطالب الانشغال طوال الأوقات به صلى الله عليه وسلم، والتفكر في أنه صلى الله عليه وسلم "رحمة ونعمة" ولكن الاختصار مطلوب:

جاء في سنن النسائي:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ يَعْنِي مِنْ أَصْحَابِهِ (فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَدْعُو اللَّهَ، وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِدِينِهِ، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِكَ، قَالَ: آللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ؟ قَالُوا: آللَّهُ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَلِكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهَمَةً لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ).

ملحوظة: هذا الحديث يؤيد عمل الحضرة لأن بها (ذكر الله، قراءة سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مولد الأسرار الربانية، المديح...) كل ذلك في قول الصحابة: (جَلَسْنَا نَدْعُو اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِدِينِهِ وَمَنَّ عَلَيْنَا بِكَ).

وفي سنن الإمام الترمذي:

عَنْ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتْ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: مَا شِئْتَ، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ النِّصْفَ، قَالَ: مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَ: إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ).

وعند الإمام أحمد:

(قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَعَلْتُ صَلَاتِي كُلَّهَا عَلَيْكَ؟ قَالَ: إِذَنْ يَكْفِيكَ اللَّهُ مَا أَهَمَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ).

وعنده أيضاً:

عَنْ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: (أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَى فِي وَجْهِهِ الْبِشْرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَى فِي وَجْهِكَ الْبِشْرُ؟ قَالَ: أَجَلْ، أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهَا زَكَاةٌ لَكُمْ، وَسَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا دَرَجَةٌ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ، لَا يَنَالُهَا إِلَّا رَجُلٌ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ).

عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ: (مَنْ صَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ بِهَا سَبْعِينَ صَلَاةً، فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ).

عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ صَلَاتُنَا وَقَدْ أَرِمْتَ ؟ - يَعْنِي: وَقَدْ بَلِيتَ - قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ).

وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، مِنْ حَدِيثِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْجُعْفِيِّ، وَقَدْ صَحَّحَ هَذَا الْحَدِيثَ ابْنُ خُزَيْمَةَ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَالدَّارَقُطْنِيُّ، وَالنَّوَوِيُّ فِي الْأَذْكَارِ.

جاء في سنن ابن ماجة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: (إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَحْسِنُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ لَعَلَّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَقَالُوا لَهُ: فَعَلِّمْنَا، قَالَ: قُولُوا اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَاتَكَ وَرَحْمَتَكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ، مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، إِمَامِ الْخَيْرِ، وَقَائِدِ الْخَيْرِ، وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ، اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ).

وهنا ملمح عرفاني: في هذا الحديث يظهر فقه الصحابة، وهو الزيادة عن الصيغ المعهودة عن النبي صلى الله عليه وسلم والتي وردت في الأحاديث... بإظهار معاني الحقيقة المحمدية، وإذا كنت باحث عن الزيادة من صلوات الصحابة والتابعين فعليك بكتاب فتح الرسول صلى الله عليه وسلم للإمام الختم رضي الله عنه.

ثالثاً: الارتباط بأخلاقه صلى الله عليه وسلم:

يقول الإمام الختم رضى الله عنه في مولد الأسرار الربانية:

(فينبغي لك التخلق بأخلاق الذي بالدين مُدان، وتعلوا على سائر الأجناس بحوزك قضب الذهب السبكية، وتنال السمو بمدح من فاق سائر الإنس والجان)، طلب منا التخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، مع السمو والعروج بالكمالات المحمدية، وذلك بمدح الحبيب صلى الله عليه وسلم.

وقوله رضي الله عنه: (فتأهب بتفريغ سرك لحب هذه النشأة المحفوظية، وتوجه لإنزال المودة فيه سراً وإعلان).

وقوله رضي الله عنه: (وأما أخلاقه صلى الله عليه وسلم فليس يحصرها ضبط الأقلام البشرية).

وجاء قوله صلى الله عليه وسلم: (إني لم أُبعث لعاناً، وإنما بُعِثْتُ رحمة).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (إنما أنا رحمة مُهداة).

وعن أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها: (قَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾).

وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الخُلُق الحسن؛ بل جعله مسلك للترقي، وفي ذلك قال صلى الله عليه وسلم:

عَنْ سيدنا أَنَسٍ مَرْفُوعًا: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِه دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ وَشَرَفَ الْمَنَازِلِ، وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْعِبَادَةِ، وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ بِسُوءِ خُلُقِهِ دَرَكَ جَهَنَّمَ وَهُوَ عَابِدٌ).

وَعَنْ سيدتنا عَائِشَةَ مَرْفُوعًا: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ قَائِمِ اللَّيْلِ وَصَائِمِ النَّهَارِ).

أورد الإمام أحمد في مسنده: عن أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَفْضَلَ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ). قَالَ ابْنُ أَبِي بُكَيْرٍ: "أَثْقَلَ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ".

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا مِنْ ذَنْبٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ سُوءِ الْخُلُقِ; إِنَّ الْخُلُقَ الْحَسَنَ لَيُذِيبُ الذُّنُوبَ كَمَا تُذِيبُ الشَّمْسُ الْجَلِيدَ، وَإِنَّ الْخُلُقَ السَّيِّئَ لَيُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ).

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ لَيُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ، كَمَا يُعْطِي الْمُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَغْدُو عَلَيْهِ الْأَجْرُ وَيَرُوحُ).

إذاً فالإمام الختم رضى الله عنه اتخذ الخُلُق النَّبوي لنا مسلكاً، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم منوالاً للترقي على الدوام، ومعراجاً لمعرفة الحقيقة المحمدية لخير الأنام صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: محبة النبي صلى الله عليه وسلم وإظهارها:

إن مذهب الإمام الختم رضى الله عنه وجوب تقديم وإظهار محبة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم... على الآباء، والأبناء، والأهل، والناس أجمعين، وأيضاً المال، وهذا مؤيد بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾... الآية.

فمحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واحدة لا تنقسم ولا تنفصم، وهي مرتبطة كالشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

هل عرفت لماذا كان الصحابة يقدموا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنفسهم، وعلى أبائهم، وأموالهم؟

عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: (خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَهُوَ مُعَصَّبُ الرَّأْسِ، قَالَ: فَاتَّبَعْتُهُ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ، قَالَ: فَقَالَ: إِنِّي السَّاعَةَ لَقَائِمٌ عَلَى الْحَوْضِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ عَبْدًا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا، فَاخْتَارَ الْآخِرَةَ، فَلَمْ يَفْطِنْ فِي الْقَوْمِ لِذَلِكَ أَحَدٌ، إِلَّا أَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ، فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، بَلْ نَفْدِيكَ بِأَنْفُسِنَا، وَأَوْلَادِنَا، وَأَمْوَالِنَا، وَمَوَالِينَا، قَالَ: ثُمَّ هَبَطَ مِنَ الْمِنْبَرِ، فَمَا رُئِيَ حَتَّى السَّاعَةِ).

إن هذه المحبة هي تذوق حلاة الإيمان، والتخلق بالإيمان، والعمل بالأقوال والأفعال والأحوال، والاشتياق إلى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، أو ليس المرء مع من أحب؟

فانظر أيها المحب أنت في أعلى الدرجات دنيا وأخرى.

إن محبة النبي صلى الله عليه وسلم محبة حقيقية ذوق وشعور، ولذلك تجد نفسك تتصف بصفات المحبوب سيد الوجود صلى الله عليه وسلم.

أُنظر في كلام الإمام الختم رضى الله عنه، تجده كلام نابع عن محبة وتحقق، سواء في الصلوات أو المدائح، ومن أتى على منواله في تأليف المديح من السادة والخلفاء.

قال الإمام الختم في قصيدته:

فقُم بنا يا صاح والحاضرين　　　صلوا عليه
نعشَق له ونترك الكاذبين　　　صلوا عليه
في حبه نرم العذار أجمعين　　　صلوا عليه
نرقُص نصفق فرحةً يا فطين　　　صلوا عليه
فمن يوافق يأتنا مرحَبا　　　صلوا عليه
ومن يُخالف حسبُه إن أبَى　　　صلوا عليه
نحن الذي هِمنا به في الصبا　　　صلوا عليه
وهكذا حتى ليوم النبا　　　صلوا عليه

وغيرها تجد الكثير، فإن منهج السلوك قائم على محبة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم عند الإمام الختم رضى الله عنه.

جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: (أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرٍ حَتَّى إِذَا دَفَعْنَا إِلَى حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ بَنِي النَّجَّارِ، إِذَا فِيهِ جَمَلٌ لَا يَدْخُلُ الْحَائِطَ أَحَدٌ إِلَّا شَدَّ عَلَيْهِ، قَالَ: فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ حَتَّى أَتَى الْحَائِطَ فَدَعَا الْبَعِيرَ، فَجَاءَ وَاضِعًا مِشْفَرَهُ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى بَرَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَاتُوا خِطَامًا، فَخَطَمَهُ وَدَفَعَهُ إِلَى صَاحِبِهِ، قَالَ: ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى النَّاسِ قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا يَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا عَاصِيَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ).

أورد الإمام البخاري في صحيحه: عَنْ أَنَسٍ قَالَ: (قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ).

وفي البخاري أيضاً: عَنْ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: (قُلْتُ لِعَبِيدَةَ: عِنْدَنَا مِنْ شَعَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَبْنَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنَسٍ أَوْ مِنْ قِبَلِ أَهْلِ أَنَسٍ، فَقَالَ: لَأَنْ تَكُونَ عِنْدِي شَعَرَةٌ مِنْهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا).

أيضاً: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ).

وعند البخاري أيضاً: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ).

وعند الإمام أحمد: (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ لَأَنْ يَرَانِي ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ، وَمَالِهِ، وَمِثْلِهِمْ مَعَهُمْ).

خلاصة الأمر: أن قول الوهابية "بأن محبته اتباعه فقط"، هذا كلام ناقص، لأن الآيات والأحاديث دلت على أكثر من ذلك كما أوضحتُ سابقاً، ويكفي حديث (أنت مع من أحببت)، وذلك مع قلة العمل.

****

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،،،

فهرس الجزء الأول

أسأل الله النفع والتوفيق،،،

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،،،